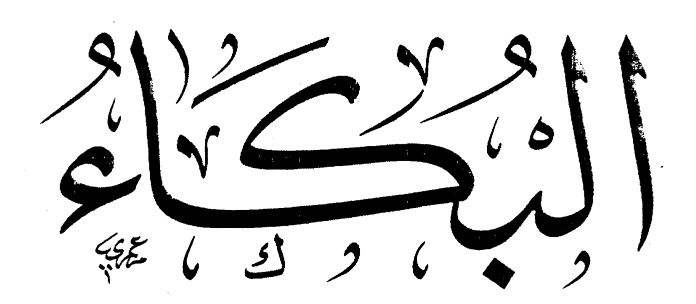


كتبه

حلمي بن إسماعيل الرشيدي

غفر الله له ولوالديه

دار العقيدة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

رقم الإيداع: ٧٣٦٣ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى: 5 - 041 - 347 - 977

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٢/٥٧٤٧٣٢١ - ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٢١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعد:

فإن البكاء من خشية الله تعالى، والخوف منه، ومن عذابه مشروع، بل هى صفة من صفات الأوابين، وهى طريق عباد الله المؤمنين لنيل رحمة رب العالمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ (المؤمنون:٥٧)، وإذا سمعوا آيات الله تعالى تتلى عليهم يخرون للأذقان يبكون، ويتململون، ويرتجفون، كما قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء:١٠٩)، كما كان يبكى سلفهم من الأنبياء والصالحين من ذرية آدم، قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم:٥٨).

أى أن صفات الأنبياء وذرياتهم ممن اجتبى الله تعالى وهدى، إذا سمعوا آيات الله تعالى تتلى عليهم يخرون لله سجداً يبكون من خشيته.

وكان على رأس الواجلين الخاشعين الخائفين الباكين سيد الخلق محمد ﷺ، فكان يقوم لله تتفطر قدماه يبكى حتى يبل حِجرهُ، وحتى يبل موطن سجوده.

وقام من بعده صحابته الكرام، وكانوا يبكون ويرتجفون، خشية من الله تعالى، وكان على رأس هؤلاء الصحابة أبو بكر الصديق ذلك الواجل الخائف، الذى ما فارق البكاء جفنه، ولا الدموع عينه، كان رجلاً رقيقاً، ومن كثرة بكائه لا يُسمع قراءته.

ثم عمر بن الخطاب، الذى قطّع الخوف قلبه، وفتّت الحزن كبده، وذبلت من البكاء عينه.

ثم عثمان البكّاء، الذى كان ينخلع فؤاده، ويذهب بالبكاء نومه، وكان عند ذكر القبر يغشاه الكرب، ويغشى عليه.

ثم على بن أبى طالب، صاحب الليل الطويل، والسهر الكثير، والذى كان يتململ تململ المحموم، ويرتجف ارتجاف المغموم المكروب، ويناشد الدنيا أن تغر غيره، فزاده قليل وسفره طويل!!

وكان البكاءون فى الأمة كثيرون لا يُحصون عدداً، وكانوا يبكون على اختلاف أسباب البكاء.

- فمنهم الذى كان يبكى بسبب الخوف من الله تعالى.

● قال الفضيل بن عياض: «رهبةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادته فى الدنيا على قدر رغبته فى الآخرة».

- ومنهم من كان يبكى عند سماع القرآن:

❁ فعن نافع قال: سمع ابن عمر آية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد:١٦)، بكى حتى بلَّ لحيته من البكاء وهو يقول: بلى يا رب.

❁ قال يزيد الرّقاشى: ما تلذَّذ العابدون ولا استطارَت قلوبهم بشىء كحسن الصوت بالقرآن، وكلُّ قلبٍ لا يُجيب على حُسن الصوت بالقرآن فهو قلبٌ ميت.

قال الفضيل: وأىُّ عين لا تهمل على حسن الصوت إلا عينُ غافل أو لاهٍ.

- ومنهم من كان يبكى عند ذكر الآخرة.

❁ كان سفيان الثورى إذا أخذ فى ذكر الآخرة يبول الدم.

- ومنهم من كان يبكى عند ذكر الموت.

❁ كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت اضطربت مفاصله.

❁ قال ابن الأشعث: كان الفضيل بن عياض إذا خرجنا فى جنازة لا يزال يعظُ، ويذكِّر ويبكى كأنه مودِّع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلُغ المقابر فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

❁ التقى حسان بن أبى سنان وحوشب، فقال حوشب لحسان: كيف أنت يا أبا عبد الله، كيف حالك؟

قال: ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب.

❁ من خاف الموت لا ينتفع بطعام ولا بشراب.

- ومنهم من كان يبكى إذا فاتته صلاة الجماعة.

❁ كان سعيد بن عبد العزيز إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.

- ومنهم من كان يبكى ويغشى عليه عند ذكر النار.

❁ قال الأوزاعي: إذا ذكرت جهنم فليبك من كان باكياً.

❁ كان عطاء الخرسانـى يخرج رأسه من خيمته باللـيل فيقول: يا عبد الرحمن بن يزيد، يا هشام بن الغاز، يا فلان، قيام الليل، وصيام النهار أيسر من شرب الصديد، ولبس الحديد، وأكل الزقوم، النجاء النجاء!

❁ كان عبد الواحد بن زيد الواعظ البكّاء -يعظ ويقول:

يا إخوتاه ألا تبكون شوقاً إلى الله؟!

يا إخوتاه ألا تبكون خوفاً من النار؟!

يا إخوتاه ألا تبكون خوفاً من العطش يوم القيامة؟!

يا إخوتاه ألا تبكون؟!

- ومنهم من كان يبكى خوفاً من سوء الخاتمة، وإلى أين يُذهب به؟

❁ بكى أبو هريرة رضي الله عنه فى مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: أبكى لبعد سفري، وقلة زادى وأنِّـى أصبحت فى صعود مهبطة إلى جنة أو نار فلا أدرى إلى أيتهما يُسلك بي.

❁ قال يحيـى بن معاذ: الدنيا دار أشغـال، والآخرة دار أهوال، ولا يزال العبد بين الأشغال والأهوال، حتى يستقر به القرار إما إلى جنة وإما إلى نار.

❁ قال المزني: دخلت على الشافعى رحـمه الله وهو عليل فقلت: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

قال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً، ولسوء فعالى ملاقياً، وعلى الله وارداً، وبكأس المنية شارباً، ولا والله ما أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها.

- ومنهم من كان يبكى فى الصلاة، وبخاصة صلاة الليل، بل ومنهم الذى كان يبكى عندما يتوضأ، بل ويصفرّ ويخضرّ، ويتغير لونه، ومنهم الذى يبكى عند الأذان ويذكره النداء للصلاة بالنداء للعرض على الله!

- ومنهم من كان يبكى لتقصيره، وكثرة ذنوبه.

❁ قال ابن المبارك رحمه الله:

من أعظم المصائب للرجل أن يعلم من نفسه تقصيراً ثم لا يبالى ولا يحزن عليه.

❁ قال الفضيل: فرِّغ قلبك للحزن، وللخوف، حتى يسكناه، فيقطعاك عن المعاصى، ويُباعداك عن النار.

وبعد، أخى فى الله:

ليس فقط ما ذكرنا يجلب البكاء والحزن، فهناك ثمة أشياء كثيرة مجلبة للبكاء والحزن والهم والغم... إلخ.

إن الناظر إلى أحوال أمتنا الإسلامية، لا يرجع بعد قليل من النظر إلا وقد عمشت عيناه، وسقط جفناه، وذبلت وجنتاه، وتفطر قلبه، وتفتت كبده من هول ما يرى وما يسمع.

لا تقل إن مجالس التوابين، وذكر أحوال المخبتين، هى التى تُبكِّى فقط!

بل إن كل شىء من أحوال المسلمين يدعو للبكاء والحزن!

إن الصراخ الذى تسمعه، والدم الذى يهراق، والأعراض التى تنتهك، والأطفال التى تغتال، والكهول الذين يمتهنون، والرضع الذين يمثل بهم... إلخ.

كل هذا وهذا يُبَكِّى ويُبَكِّى ويُبَكِّى...

وأظن أن كثيراً من المسلمين المستضعفين جفّت مآقيهم حتى لم يَعُد فى العين دموع!!

وذلك لكثرة ما يشاهدون ويسمعون...

فإلى الله نرفع شكوانا، فهو وحده السامع لدعانا.

وبعد:

أخى المسلم هذه رسالة فى البكاء وأسبابه ومعها شىء من أخبار البكاءين، لعلها تساهم بجهد المقل فى استحضار دمعتك، وابتلال جفنك، وتطيب قلبك، وانشغالك بالآخرة، فإن الناس اليوم بحاجة إلى تزكية نفوسهم، وإن كنت أولى الناس بذلك.

❁ وكان ابن المبارك رحمه الله إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور، أو بقرة منحورة من البكاء، لا يجترىء أحد أن يدنو منه أو يسأله عن شىء إلا دفعه.

وبعد:

فلقد سقت لك أخباراً عن البكاء وأحاديث عن فضله، وما جمعت من أحاديث فكلها والحمد لله تدور بين الصحة والحسن، وأما أخبار البكاء وأهله

ففيها تساهل، وذلك لحصول المقصود من ذكر الرسالة -وهي- موضوعة لإحياء البكاء وتهيجه في نفوسنا.

وإني اسأل الله تعالى أن تكون خالصة لوجهه الكريم وأن يقبلها عنده، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وآله وصحبه أجميعن.

راجي عفو ربه الكريم

حلمي بن محمد بن إسماعيل

غفر الله له ولوالديه وسائر المسلمين



(١) جـامـع أحـاديـث البكـاء

(١) عن أنس مرفوعاً: «عَينانِ لا تَريانِ النَّـارَ: عَينٌ بَكَتْ وَجَلاً من خَشْـيةِ الله، وعينٌ باتت تكلأُ فى سبيل الله». [١]

(٢) وعن ابن عباس مرفوعاً: «عينان لا تُصيبهما النارُ: عينٌ بكتْ من خَشية الله، وعينٌ بَاتت تحرسُ فى سبيل الله». [٢]

(٣) وعن أنس فى رواية: «عينان لا تَمسُّهُما النارُ أبداً: عينٌ بَكَتْ من خشيةِ الله، وعينٌ باتت تحرسُ فى سبيل الله». [٣]

(٤) وعن أبى سعيد وأبى هريرة مرفوعاً: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه». [٤]

(٥) وعن أبى هريرة مرفوعاً: «لا يلجُ النَّارَ رجلٌ بَكَى من خَشْـيةِ الله، حَتَّى يَعود اللبَن فى الضَّرع، ولا يجتمعُ غبارٌ فى سبيل الله ودُخانَ جَهَنّم فى مُنخرى مسلمٍ أبداً». [٥]

(٦) عن أبى أمـامة مـرفوعـاً: «ليس شىء أحبُّ إلى الله من قَطرتين وأثرين، قطرة من دموع فى خشيـة الله، وقطرة دم تهراق فى سـبيل الله، وأما الأثـران: فأثر فى سبيل الله وأثر فى فريضة من فرائض الله». [٦]

---

(١) صحيح. رواه الطيالسي. انظر صحيح الجامع (٤١١١).
(٢) صحيح. رواه الترمذي. انظر صحيح الجامع (٤١١٢).
(٣) صحيح. رواه أبو يعلي والضياء. انظر صحيح الجامع (٤١١٣).
(٤) متفق عليه.
(٥) صحيح. رواه أحمد والترمذي والنسائى والحاكم. انظر صحيح الجامع (٧٧٧٨).
(٦) رواه الترمذي - انظر صحيح الترمذى (١٦٦٩).

(٧) عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب، فقال: «عُرضت عليَّ الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشدَّ منه، قال: «غطَّوا رؤوسهم ولهم خَنِينٌ». (١)

(٨) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ» فقلت: أقرأ عليك، وعليك أُنزل قال: «نعم».

فقرأت سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١).

قال: «حَسْبُكَ الآنَ» قال: «فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تَذْرِفان».

وفي رواية: «فإذا دموعُه تسيل». (٢)

(٩) عن مُطَرِّف، عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يُصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرّحى -وفي رواية- المرجل من البكاء». (٣)

(١٠) عن عُبيد بن عُمير رحمه الله أنه قال لعائشة رضي الله عنها أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ قال: فسكتت ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي.

قال: «ياعائشة ذريني أتعبَّد الليلة لربي».

قلت: والله إنِّي أحب قُربك، وأحب ما يسرك.

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) حسن. رواه الترمذي وغيره.

قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي.

قالت: فلم يزل يبكي، حتى بلَّ حجرَه!

قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلّ لحيته!

قالت: ثم بكى حتى بلَّ الأرض! فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر؟

قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟!**

لقد أُنزلت عليَّ الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤). (١)

(١١) عن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر، فبكى، حتى بلَّ الثَّرى، ثم قال: «**يَا إِخْوَانِي! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**». (٢)

(١٢) عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لله، والله! لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُم بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُم إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى الله**».

قال أبو ذر: والله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنتُ شَجَرَةً تُعضَدُ. (٣)

---

(١) صحيح الترغيب للألباني (١٤٦٨).

(٢) حسن. رواه ابن ماجه (٤١٩٥)، وحسنه الشيخ في صحيح ابن ماجه والصحيحة (١٧٥١).

(٣) حسن. رواه ابن ماجه (٤١٩٠)، والترمذي (٢٣١٢)، وأحمد (٥/١٧٣)، والحاكم (٤/٥٧٩)، والبغوي (١٤/ ٣٧٠)، وحسنه الشيخ في صحيح ابن ماجه (٨/ ٣٣٧)، وفي الصحيحة (١٧٢٢).

(١٣) عن عقبة بن عامر قال: قلت: يا نبي الله! ما النجاة؟

قال: «أمْلِكْ عَلَيكَ لسانَكَ وليسعك بيتُكَ وابكِ عَلى خَطيئتِكَ». (١)

(١٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: ٦) تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة -أو قال: يوم- فخرَّ فتى مغشياً عليه فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك.

فقال: «يا فتى قل لا إله إلا الله» فقالها، فَبَشَّرَه بالجنة فقال أصحابه: يا رسول الله: أمِنْ بيننا؟

فقال ﷺ: «أما سمعتم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (إبراهيم: ١٤)». (٢)

---

(١) حسن. رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/٢٥٩)، وابن المبارك في الزهد (١٣٤)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٣)، والبيهقي في «الشعب» وحسنه الشيخ في صحيح الجامع (١٣٩٢)، و«الصحيحة» (٨٩٠).

(٢) إسناده حسن. رواه الحاكم (٢/٣٥١)، والبيهقي في «الشعب» (٧٢٠)، وسنده حسن.

(٢) أقــوال السلـف عــن البكـاء

(١) قال أبو بكر الصديق ﷺ:

«من استطاع أن يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك».

(٢) قال على بن أبى طالب ﷺ:

«إذا دمعت عيناك وسالت دموعك على خدِّك فلا تكفّها بثوبك، وامسح بها وجهك حتى تلقى الله بها».

(٣) عن الحسن البصرى رحمه الله قال:

ما أغرورقت عينٌ بمائها إلا حرّم الله جسدها على النار، فإن سالت على خدٍّ صاحبها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة أبداً، وليس من عمل الا له وزن وثواب إلا الدمعة فإنها تطفىء بحوراً من النار، ولو أن رجلاً بكى من خشية الله فى أُمةٍ من الأمم لرجوت أن تُرحم تلك الأمة ببكاء ذلك الرجل».

(٤) قال فرقد السبخى وكان من العُبَّاد رحمه الله:

بلغنا أن الأعمال كلها توزن إلا الدمعة تخرج من عين العبد من خشية الله! فإنه ليس لها وزن ولا قدر، وإنه ليُطفأ بالدمعة البحور من النار.

(٥) قال وهب بن منبه رحمه الله:

البكاء من خشية الله تعالى مثاقيلُ بر، ليس لثوابه وزناً، إنما يُعطى الباكى من خشية الله والصابر على طاعة الله أجرهم بغير حساب.

(٦) قال شهر بن حوشب رحمه الله:

«لو أن عبداً بكى فى ملأ من الناس لرُحِموا ببكائه».

(٧) قال خالد بن معدان الكلاعى العابد:

إن الدَّمعة لتطفىء البحور من النيران، فإن سالت على خَدٍّ باكيها لم ير ذلك الوجه النار. وما بكى عبد من خشية الله إلا خشعت لذلك جوارحه، وكان مكتوباً فى الملأ الأعلى باسمه واسم أبيه، منوراً قلبه بذكر الله.

(٨) عن جعفر بن سليمان قال:

وعظ مالك بن دينار يوماً، فتكلم، فبكى حوشب، فضرب مالك بيده على منكبه، وقال: ابكِ يا أبا بشر، فإنه بلغنى أن العبد لا يزال يبكى حتى يرحمه سيده فيعتقه من النار.

(٩) قال رجل للحسن: أوصنى.

قال: «رطِّب لسانك بذكر الله، وندِّ جفونك بالدموع من خشية الله، فقلَّ من طلبتَ لديه خيراً فلم تدركه».

(١٠) قال كعب:

«من بكى خوفاً من ذنب غُفر له، ومن بكى اشتياقاً إلى الله أباحه النظر إليه -تبارك وتعالى- يراه متى شاء».

(١١) قال يزيد الرَّقاشى:

«بلغنى أنه من بكى على ذنب من ذنوبه نُسِّيَ حافظاه ذلك الذنب، ومن فاضت عيناه من خشية الله أعطى الأمان يوم القيامة».

(١٢) قال مالك بن دينار:

«البكاء على الخطيئة يحُطُّ الذنوب كما تحطُّ الريح الورق اليابس».

(١٣) قال عبد الواحد بن زيد وكان شديد الخوف والخشية، كثير البكاء والموعظة:

«يا إخوتاه! ألا تبكون خوفاً من النار؟ ألا إنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها».

«يا إخوتاه! ألا تبكون خوفاً من العطش يوم القيامة؟ ألا إنه من بكى خوفاً من ذلك سُقى على رؤوس الخلائق يوم القيامة».

يا إخوتاه! ألا تبكون؟ بلى، فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله أن يسقيكموه فى حظائر القدس مع خير الندماء والأصحاب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً. ثم جعل يبكى حتى غُشى عليه!.

(١٤) عن أبى معشر قال:

رأيت عون بن عبد الله فى مجلس أبى حازم يبكى ويمسح وجهه بالدموع ويقول: بلغنى أن النار لا تمسُّ موضع الدموع.

(١٥) قال محمد بن واسع الفقيه الورع ورأى رجلاً يبكي:

بلغنا أن الباكى مرحوم، فمن استطاع أن يبكى فليبك، فلمثل ما يُقْدَمُ عليه فليُبْكَ له».

(١٦) وقال أبو حازم الأعرج المحدث الفاضل والعابد القانت: «بلغنا أن البكاء من خشية الله مفتاح لرحمته».

(١٧) قال سفيان بن عيينة رحمه الله:

«البكاء من مفاتيح التوبة، ألا ترى أنه يرقُ فيندم».

(١٨) عن حمزة الأعمى:

ذهبت أمى إلى الحسن فقالت: يا أبا سعيد! ابنى هذا قد أحببتُ أن يلزمك، فلعل الله أن ينفعه بك، قال: فكنت اختلف إليه، فقال لى يوماً يا بنى! أَدِم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه، وابكِ فى ساعات الخلوة لعل مولاك يطَّلع عليك فيرحم عَبْرَتك فتكون من الفائزين.

قال: وكنت أدخل عليه منزله، وهو يبكي، وآتيه مع الناس وهو يبكي، وربما جئت وهو يصلى فأسمع بكاءه ونحيبه.

فقلت له يوماً: يا أبا سعيد! إنك لتكثر من البكاء!

فبكى ثم قال: يا بنى ! فما يصنع المؤمن إذا لم يبك؟

يابني! إن البكاء داع إلى الرحمة، فإن استطعت أن لا تكون عمرك إلا باكياً فافعل، لعله يراك على حالة فيرحمك بها، فإذا أنت قد نجوتَ من النار.

(١٩) عن أبى عمران الجونى العالم العابد رحمه الله:

لكل أعمال البرِّ جزاء، وفى كلها خير، إلا الدمعة تخرج من عين العبد، فليس لها كيل ولا وزن، حتى يُطفأ بها بحارٌ من النيران».

(٢٠) عن مالك بن دينار قال:

دخلت مع الحسن السوق، فمرَّ بالعطارين، فوجد تلك الرائحة، فبكى، ثم بكى، حتى خفت أن يُغشى عليه.

ثم قال: يا مالك! والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعاً: الجنة أو النار، ليس هناك منزل ثالث، من أخطأته والله الرحمةُ صار إلى عذاب الله.

قال: ثم جعل يبكي، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات.

(٢١) قال أبو الهيثم القصّاب:

مررت أنا وسعيد بن جبير على بني الأشعث، وإذا هم على طنافس، وعليهم ألوان الخز. فسلم عليهم، فجعلوا يقولون له: مرحباً بأبي عبد الله - ويسلمون عليه: اجلس.

فلما ولى عنهم بكى -حتى بلغ الكناسة- بكاء شديداً. فقلت: ما يبكيك؟ قال: إنني ذكرتُ الجنة ونعيمها وشبابها حين رأيت هؤلاء.

(٢٢) عن مولى لعمر بن العزيز أنه قال:

استيقظ ذات ليلة باكياً، فلم يزل يبكي حتى استيقظت.

قال: وكنتُ أَبيتُ معه، فربما منعني النوم كثرةُ بكائه.

قال: فأكثر ليلتئذ البكاء جداً.

فلما أصبح دعاني فقال: أي بني! ليس الخير أن يُسْمَعَ لك ويطاع، إنما الخير أن تكون قد عقلت عن ربك ثم أطعته.

يا بني! لا تأذن اليوم لأحد عليَّ حتى أُصبح ويرتفع النهار، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني.

فقلت: بأبي أنت يا أمير المؤمنين! رأيتك الليلة بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله!

قال: فبكى، ثم بكى ثم قال: يا بني! إني والله ذكرتُ الموقف بين يدي الله.

قال: ثم غُشي عليه، فلم يفق حتى علا النهار. فما رأيته بعد ذلك مبتسماً حتى مات.[1]

---

(١) البكاء (٥٤)، وسيرة عمر لابن الجوزي (ص ١٥٦).

(٣) استدعاء البكاء

(١) خطب أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه فقال: «أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون حتى تصير فى وجوههم الجداول فتنفد الدموع، فتقرح العيون، حتى لو أن السُّفُنَ أرخيت فيها لجرت».

وجاء نحوه مرفوعاً عن أنس وفيه ضعف.

وجاء عن سعد بن أبى وقاص مرفوعاً: «**ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا**»، رواه ابن ماجه وغيره وفيه ضعف، وحسّن الشيخ الألبانى فى الصحيحة (١٦٧٩) من حديث أنس: «**يُرسل البكاء على أهل النار، فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم، حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود،لو أرسلت فيه السفن لجرت**».

(٢) عن أبى هريرة أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: «**إن أحببت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**». [١]

(٣) قال صالح المُرِّى:

للبكاء دواعى الفكرة فى الذنوب، فإن أجابت على ذلك القلوب، وإلا نقلتها إلى تلك الشدائد والأهوال فإن أجابت على ذلك، وإلا فأعرض عليها التقلُّب بين أطباق النيران. ثم صاح وغُشى عليه.

(٤) عن بكر بن عبد الله المزنى قال:

أن أبا موسى خطب الناس بالبصرة، فذكر فى خطبته النار، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٦٣)، وغيره وفيه انقطاع وله شاهد من حديث رواه البيهقي في الشعب مرسلاً.

(٥) وعن سعد بن الأخرم -وهو مختلف فى صـحبته- قال: «كنت أمشى مع عبدالله بن مـسعود، فمرَّ بالحـدَّادين وقد أخرجوا حـديدة من النار، فقام ينظر إليها ويبكى».

(٦) قال الأعمش:

«أن الربيع بن خثيم وكان من العلمـاء العُبَّاد الزاهدين، مرَّ فى الحدَّادين، فنظر فى كير، فصعق».

(٧) عن سفيان بن عيينة قال:

كان عمر بن عبد العزيز يوماً ساكتاً وأصحابه يتحدثون فقالوا له: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟

قال: كنتُ مفكراً فى أهل الجنة كيف يتـزاورون فيها، وفى أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى.

(٤) من أسباب البكاء

❁ من أسبابه قلة الذنوب:

(١) قال مكحول:

«أرقُّ الناس قلوباً أقلُّهم ذنوباً».

(٢) قال أبو عبد الله البراثى من كبار المشايخ والعُبّاد:

لا تندى العين حتى يحترق القلب فإذا احترق القلب تلهَّبَ شعلُه فهاج إلى الرأس دخُانه، فاستنزل الدموع من مجاريها إلى العين فجمعته -أى أسالته-.

(٣) عن ضيغم الراسبى الزاهد القدوة الربانى وكان أحد الخائفين البكّائين:

إن كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكى إلا بكى، والقليل من التذكرة يُجزئه.

❁ ومن أسباب البكاء الصدق:

(١) قال معاوية بن الأسود:

«من أكثر لله الصدق نديت عيناه، وأجابته إذا دعاهما».

(٢) قيل لسفيان بن عيينة: ألا ترى إلى أبى علي- يعنى الفضيل بن عياض- لا تكاد تجفُّ له دمعة؟

فقال سفيان: إذا قَرِح القلب نَدِيت العينان.

✿ ومن أسباب البكاء خشية الله.

(١) كما فى الحديث: «**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**».

✿ ومن أسباب البكاء الكرب من هول القيامة والتفكر فى أمر الآخرة.

✿ ومن أسباب البكاء الخوف من الله تعالى، والخوف من سوء الخاتمة، وقلة العمل.

✿ ومن أسبابه ذكر القبر ومنكر ونكير... إلخ.

(٥) البكـــاء عنـد قـراءة القـرآن

(١) سبق حديث ابن مسعود لما قرأ على النبى ﷺ سورة النساء فبكى.

(٢) وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ بكى وهو يصلى حتى بلَّ حِجَرهُ.

(٣) وروى البخارى (٦٦٤) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذى مات فيه فحضرت الصلاة فَأُذِّنَ فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس».

فقيل له: إن أبا بكر رجلٌ أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس».

وفى رواية: «رجل رقيق»، وفى رواية: «كثير البكاء».

(٤) روى الطبرى عن عبد الله بن عمرو قال:

لما نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة:١) بكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟».

قال: أبكتنى يا رسول الله هذه السورة.

(٥) عن عقبة بن عامر أنه كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن فقال له عمر بن الخطاب أعرض علىَّ سورة براءة.

فقرأها عليه، فبكى عمر بكاءً شديداً، ثم قال: ما كنت أظن أنها أُنزلت!

(٦) وعن الشعبى قال:

سمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ (الطور:٧-٨) فجعل يبكى حتى اشتد بكاؤه، ثم خرّ يضطرب فقيل له فى ذلك فقال: «دعونى فإنى سمعت قسمَ حَقٍّ من ربى».

(٧) عن نافع قال: كان ابن عمر إذا أتى على هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد:١٦) بكى حتى يبلَّ لحيته البكاء، ويقول: «بلى يا رب».

(٨) عن مسروق قال:

قرأت على عائشة هذه الآيات: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (الطور:٢٧).

فبكت وقالت: «ربِّ مُنَّ وقني عذابَ السَّموم».

(٩) وعن عبد الله بن عبيد بن عمير:

أن أباه كان يقصُّ لابن الزبير، وابن عمر قاعدٌ ناحية، فقرأ: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٤٢) فبكى ابن عمر حتى بلَّ جبينه من دموعه، وابتلت لحيته.

(١٠) قال بهز بن حكيم:

أمَّنا زُرارة بن أوفى فى مسجد قشير فقرأ المُدثر فلما انتهى إلى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (المدثر:٨) خرَّ ميتاً.

قال بهز: فكنت فيمن حمله.

(١١) وعن عبيد بن عمير أنه تلا:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء:٤١) فجعل ابن عمر يبكى حتى لثقت -أى ابتلت- لحيته من دموعه، فأراد رجل أن يقول لعبيد بن عمير أقصر فقد آذيت الشيخ.

(١٢) عن ابن أبى مليكة قال: قرأ ابن عباس:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق:١٩).

فجعل يبكى ويرتل ويكثر فى ذلك النشيج.

(١٣) قال بن أبى ذيب حدثنى من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة وقرأ عنده رجل:

﴿ وإذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ (الفرقان ١٣) فبكى حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه، فقام من مجلسه، فدخل بيته، وتفرَّق الناس.

(١٤) عن سعيد بن أبى عروبة قال:

أن عمر بن عبد العزيز قال لابنه: اقرأ.

فقال: ما أقرأ؟

قال: سورة (ق).

فقرأ، حتى إذا بلغ: ﴿ وجاءتْ سكْرَةُ الْموْت بالْحقّ ﴾ (ق:١٩) بكى.

ثم قال: اقرأ يا بنى.

قال: ما أقرأ؟

قال: سورة (ق).

حتى إذا بلغ ذكر الموت بكى أيضاً بكاءً شديداً، ففعل ذلك مراراً.

(١٥) عن المعتمر بن سليمان أنه قال:

صلى بنا أبي، فقرأ سورة (ق) فى صلاة الفجر، فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿ وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (ق:١٩) غَلَبَتْهُ عبرته، فلم يستطع أن يجوز، فركع.

(١٦) قال سفيان: كان طلق بن حبيب يقوم الليل فيبتدئ بالقرآن ثم يبلغ سورة الحجر فركع، وكان إذا قرأ بكى وأبكى، وكان إذا قرأ لم يسمعه أحد إلا بكى من رقته وحُسن صوته.

(١٧) عن إبراهيم التيمى أنه قال:

قرأ الحارث بن سويد وهو تابعى جليل كان أحمد يعظم شأنه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة:٧-٨)، فبكى ثم قال: إن عذاب الآخرة لشديد.

(١٨) عن الحارث بن سعيد قال:

كنا عند مالك بن دينار، وعنده قارىء يقرأ، فقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة:١)، فجعل مالك ينتفض، وأهل المجلس يبكون ويصرخون، حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة:٧)، فجعل مالك والله يبكى ويشهق حتى غُشى عليه، فحُمل من بين القوم صريعاً.

(١٩)عن أبى مودود عبد العزيز بن أبى سليمان الهذلى قال:

بلغنى أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ (يونس:٦١)، فبكى بكاء شديداً حتى سمعها أهل الدار، فجاءت فاطمة، فجعلت تبكى لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهم، فجاء عبد الملك، فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون، فقال يا أبه! ما يبكيك؟ قال: خير يا بنى ودَّ أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه والله يا بنى لقد خشيت أن أهلك والله يا بنى لقد خشيت أن أكون من أهل النار!

(٢٠) عن هشام بن حسان وكان من البكَّائين قال: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن البصرى فانتهينا إليه وعنده رجل يقرأ فلما بلغ هذه الآية: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ (الطور:٧-٨) بكى الحسن، وبكى أصحابه، وجعل مالك يضطرب حتى غشى عليه.

(٢١) قال عبد الأعلى بن أبى عبد الله العنزى:

رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة فى ثياب دسمة، ووراءه حبشى يمشي، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشى، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال:

هكذا رحمكما الله، حتى صعد المنبر، فخطب، فقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١) فقال: وما شأن الشمس؟.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ (التكوير: ٢) حتى انتهى إلى ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (التكوير: ١٢-١٣) بكى، وبكى أهل المسجد، وارتجَّ المسجد بالبكاء، حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكى معه.(١)

(٢٢) قال زائدة بن قدامة:

كان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت: رجل قد أصيب بمصيبة، ولقد قالت له أمه:

ما هذا الذى تصنع بنفسك؟ تبكى الليل عامته، لا تكاد أن تسكت لعلّك يا بُنى أصبت نفساً، أقتلت قتيلا؟

فقال: يا أمّه أنا أعلم بما صنعت نفسى.(٢)

(٢٣) قال محمد بن بشر المكى:

كنا يوماً ماضين مع على بن الفضيل فمررنا بمجلس بنى الحارث المخزومي، ومُعلم يُعلم الصبيان يقرأ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (النجم: ٣١).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا (٩٦)، في الرقة والبكاء، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ١٥٧).
(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٨١٣)، وإسناده رجاله ثقات.

فشهق على بن الفضيل شهقةً خرَّ مغشياً عليه، فجاء الفضيل فقال: ابنى قتيل القرآن!

ثم حمل فحدثنى بعض من حمله أن الفضيل أخبره أن علياً ابنه لم يصل ذلك اليوم الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء، فلما كان فى جوف الليل أفاق.[(١)]

(٢٤) قال حماد بن سلمة قرأ ثابت بن أسلم البُنانى ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ (الكهف:٣٧)، وهو يصلى صلاة الليل ينتحب ويُردِّدها».[(٢)]

(٢٥) قال أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنا يحيى بن الفضل الأنيسي، سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا ذات ليلة قائم يُصلى إذ استبكي، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله، وسألوه، فاستعجم عليهم، وتمادى فى البكاء، فأرسلوا إلى أبى حازم الأعرج فجاء إليه فقال: ما الذى أبكاك؟

قال: مرّت بى آية قال: ما هي؟

قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر:٤٧).

فبكى أبو حازم معه، فاشتد بكاؤهما.

وكان محمد بن المنكدر يقول: كابدتُ نفسى أربعين سنةً حتى استقامت.[(٣)]

(٢٦) قال حُميد بن عبد الرحمن الرُّؤاسي: كنت عند ابنى صالح -الحسن وعليّ- ورجل يقرأ: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء:١٠٣) فالتفت علي إلى أخيه الحسن، وقد اخضرَّ واصفرَّ، فقال يا حسن: إنها أفزاع فوق أفزاع، ورأيت الحسن أراد أن يصيح، ثم جمع ثوبه، فعضَّ عليه حتى سكن عنه وقد ذبل فمه واخضار واصفار.[(٤)]

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٩٣٨)، وانظر السير (٨/ ٤٤٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٥).

(٣) السير (٥/ ٣٥٥).

(٤) انظر الحلية (٧/ ٣٣٠)، والسير (٧/ ٣٧٠).

(٢٧) قال مسدَّد بن قَطَن: حدثنا الدَورقي حدثنا محمد بن نوح المروزي حدثنا محمد ناجية، قال: صليت خلف الفضيل، فقرأ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة: ١) في الصبح فلما بلغ إلى قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠) غلبه البكاء فسقط ابنه عليٌ مغشياً عليه.

قال أبو سليمان الدَّاراني: وكان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١) ولا تقرأ عليه.[١]

(٢٨) قال إبراهيم بن بشار: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ (الأنعام. ٢٧) مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه رحمه الله.[٢]

قال الحسن لما سئل: إن ههنا قوماً إذا استمعوا القرآن بكوا حتى تعلو أصواتهم؟

فقال: لم يزل الناس على ذلك يبكون عند الذكر وقراءة القرآن.[٣]

---

(١) الحلية (٨/ ٢٩٩)، والسير (٨/ ٤٤٤-٤٤٥).
(٢) طبقات الصوفية (ص ٢٧١)، والسير (٨/ ٤٤٦).
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة» (١٠١)

(٦) مـن كـان يبكـي عـنـد الـوضـــوء

(١) عن عبد الرحمن بن حفص القـرشي أنه قال: كان علي بن حسين بن زيد العابدين بن علي بن الحسين أحد أركان الحلم والورع إذا فرغ من وضوئه للصلاة، وصار بين وضوئه وصلاته، أخذتـه رعدة ونفضة، فقيل له في ذلك فقال: ويحكم! أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي؟[١]

(٢) وقال جار لمنصور بن زاذان رأيت منصوراً توضأ يوماً، فلما فرغ دمعت عيناه، ثم جعل يبكي حـتى ارتفع صوته، فقلت: رحمك الله! ما شأنك؟

قال: وأي شيء أعظم من شأني؟

إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم.[٢]

(٣) وكان عطاء الـسليمي إذا فرغ من طُـهوره ارتعد وانتـفض وبكى بكاء شديداً فقيل له في ذلك، فقال: إني أريد أن أتَقدَّم على أمر عظيم، إني أريد أن أقوم بين يدي الله.[٣]

---

(١) الحلية (٣/١٣٣)، والرقة (١٤٨)، والأعلام (٥/٨٦).
(٢) الرقة (١٤٩)، صفة الصفوة (٣/١١).
(٣) الرقة (١٥٠)، والحلية (٦/٢١٨).

(٧) من كان يبكي من ذنوبه

(١) قال ﷺ وهو يحث على البكاء على الذنب: «**أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**»، وقد سبق أنه صحيح أو حسن.

(٢) وكان ابن مسعود ﷺ يقول لابنه عبد الرحمن: اتق ربَّك، وليسعك بيتك، وأملك عليك لسانك، وابك من ذكر خطيئتك.[١]

(٣) كان صالح بن عبد الكريم يقول:

بكى الباكون للرحمن ليلاً ... وباتوا دمعُهم ما يسأمونا
بقاعُ الأرض من شوقٍ إليهم ... تحِنُّ متى عليها يسجدونا

قال أبو جعفر الضرير: فجعلت أرددها عليه، فبكى، حتى قلت: الآن تخرج نفسه.[٢]

(٤) قال الصلت بن حكيم: بتنا ذات ليلة عند صاحب لنا ومعنا أبو عبد الرحمن، فجعل بعض قرَّائنا تلك الليلة يقول:

ومالي لا أبكي على الذنب أنني ... أرى الذنَب داءً في الجوانح والقلب[٣]

(٥) عن محمد بن الحارث بن عبد ربه القيسي، كنت أدخل على رياح القيسى المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه بيته وهو يبكي وآتيه في الجبَّان وهو يبكي، فقلت له يوماً: أنت دهرك في مأتم؟

قال: فبكى، ثم قال: يحقُّ لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا.[٤]

(٦) قال موسى بن عيسى: نظر حذيفة المرعشي إلى رجل، وهو يبكي فقال: ما يبكيك يا فتى؟

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة» (١٧٠)، والشعب (٨١٨).
(٢، ٣) الرقة (١٢٢) (١٢٣).
(٤) الرقة (١٧٣)، وصفة الصفوة (٣/ ٣٦٧).

قال: ذكرتُ ذنوباً سلفت فبكيت.

قال: فبكى حذيفة، ثم قال: نعم يا أخي! فلمثل الذنوب فلْيُبْكَ.

ثم أخذ بيده، فتنحيَا، فجعلا يبكيان!.[١]

(٧) قال قيس بن سُليم العنبري:

كان الضحاك بن مزاحم إذا أمسى بكى، فقيل له: ما يبكيك؟

قال: لا أدرى ما صعد اليوم من عملي![٢]

(٨) قال زهير السَّلولى:

كان رجل من بلعنبر[٣] قد لهج بالبكاء، فكان لا تراه إلا باكياً.

قال: فعاتبه رجل من إخوانه يوماً فقال: لِمَ تبكى رحمك الله هذا البكاء الطويل؟

فبكى ثم قال:

بكيتُ على الذنوب لعُظْم جُرمى ... وحُـقَّ لكل من يَعصى البكاءُ

فلو كـــان البكـــاء يردُّ هــمِّى ... لأسْعَـــدتِ الدمـوعَ معاً دماءُ

ثم بكى حتى غُشى عليه، فقام الرجلُ عنه وتركه.

(٩) قال طلحة بن مصرف:

كان رجل له ذنوب، فكان له عند كل ذنب منها بكيَّةٌ.

قال: فقال له غلامه: إن كان هذا دأبك فإنى سأقودك أعمى![٤]

(١٠) كان أبو سليمان يبكى عامة دهره:

قال: وسمعته يوماً يقول -وكان كثيراً ما يردِّدُ هذا الكلام-:

---

(١) الرقة (١٧٤)، السير (٩/ ٢٨٣)، وصفة الصفوة (٤/ ٢٦٨).

(٢) الرقة (١٧٦)، وصفة الصفوة (٤/ ١٥٠).

(٣) من قبائل بني تميم وانظر الرقة (١٧٧)، والشعب (٧٩٨)، وكان زهير هذا من العباد الزهاد المتقشفين وكان يقول: وددت أن جسدي قرص بالمقاريص وأن هذا الخلق أطاعوا الله. انظر تهذيب الكمال (٩/ ٤٢٦).

(٤) الرقة (١٨٠).

بكُّوا الذنوب قبل مَـحْلِ بكائها، وفرِّغـوا القلوب إلا من شُغل حسـابها، فبِحَـرىً إن كنتم كذلك أن تُدركوا فوات مـا قد فات لشؤم التـفريط، بالإنابة والمراجعة والإخلاص للرب الكريم.

وكان يبكي ويقول: وجدناه أكرم مولىً لشرِّ عبيد.

قال: ثم يبكي ويُبكي.(١)

(١١) قال محمد:

سمعت أبا جعفر القارىء في جوف الليل وهو يبكي ويقول:

ابك لذنبك طولَ الدهر مجتهداً	**إن البكـــاء معـــوَّلُ الأحزان**
لا تنسَ ذنبكَ في النهار وطــوله	**إن الذنـــوب تحيط بالإنسـان**

ويبكي بكاءً شديداً، ويردِّدُ ذلك.(٢)

(١٢) قال يزيد الرَّقاشي:

إذا أنت لم تبكِ على ذنبك فمن يبكي لك عليه بعدك؟ قال:

ثم يبكي صالح ويقول: يا إخوتاه!

ابكوا على الذنوب، فإنها تَرين القلوب حـتى تنطمس، فلا يصلُ إليها منَ خير الموعظة شيء.(٣)

(١٣) قال صدقة بن بكر:

سمـعت معاذ بن زيـاد التميـمي يذكر أن فتى من الأزد بـكى حتى أطلع بصره! فعوتب في ذلك فقال:

---

(١) أبو سليمان هو دويد اللبان، والخبر في الرقة والبكاء (١٨٠).

(٢) الرقة (١٨٣).

(٣) الرقة والبكاء (١٨٦)، صفة الصفوة (٣/ ٢٩٠).

ألم يرث البكا أناسُ صدق فقادهمُ البكاءُ خير المعاد؟
ألم يقلِ الإله إليَّ عبدي فكلُّ الخيرِ عندي في المعاد؟

والله لأبكين دائم الدنيا، فإذا جاءت الآخرة، فعند الله أحتسبُ مصيبتي في تقصيري.(١)

(١٤) قال عثمان بن مسلم أنه سمع بلال بن سعد قال: رُبَّ مسرورٍ مغبونٌ، وربَّ مغبونٍ لا يشعر، فويلٌ لمن له الويل ولا يشعر، يأكل ويشرب، ويضحك وقد حقَّ عليه في قضاء الله عز وجل أنه من أهل النار فيا ويل لك روحاً، ويا ويل لك جسداً، فتبك ولتبك عليك البواكي لطول الأبد.(٢)

(١٥) عن علي بن عثام قال: قال كهمس الهلالي: بكيت على ذنبٍ عشرين سنة.

قالوا: وما هو؟

قال: غدَّيتُ رجلاً فأخذت من جدار جارٍ لي قطعة لبنة ليغسل يده.(٣)

(١٦) قال: وقال عطاء السليمي بكيت على ذنب أربعين سنة، صدتُ حمامةً وأني أحمد الله إليكم تصدقت بثمنها على المساكين.

قال البيهقي: وكأنه ارتاب بها هل هي مملوكة أو غير مملوكة.(٤)

(١٧) عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله بن مسعود:

«لوددت أن الله عز وجل غفر لي ذنباً من ذنوبي وأني سُمِّيتُ عبد الله بن روثة!»(٥)

(١٨) وكان يقول ﷺ: «لو تعلمون ذنوبي ما تبعني منكم رجلان، ولوددت أني عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي».(٦)

---

(١) الرقة (١٩٤).

(٢) الزهد للإمام أحمد (٣٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢.٢٣)، والبيهقي في الشعب (٧٩٧).

(٣،٤) رواه أبو نعيم (٦/ ١١١-٢٢٣)، والبيهقي في الشعب (٧٩٩).

(٥) أحمد في الزهد (١٥٧)، وابن المبارك في الزهد (٤٩٠)، والعشري في المعرفة (٢/ ٥٤٨)، والشعب (٨١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٤).

(٦) الحاكم (٣/ ٣١٦)، والشعب (٨٢١).

(١٩) قال يحيى بن معاذ الرازى: كيف يفرح المؤمن فى دار الدنيا؟

إن عمل سيئةً خاف أن يؤخذ بها، وإن عمل حسنة خاف أن لا تقبل منه، وهو إما مسيىء، وإما مُحسنٌ.

(٢٠) وكان يقول رحمه الله: كيف ينجينى عملى وأنا بين حسنة و سيئة؟ فسيئاتى لا حسنات فيها، وحسناتى مخلوطةٌ بالسيئات، وأنت لاَ تقبل إلَا الإخلاص من العمل فما بقى بعد هذا إلا جودك.[١]

(٢١) قال ابن المبارك رحمه الله: إن البُصَراء لا يأمنون من أربع خصال:

ذنبٍ قد مضى لا يُدرى ما يصنع الربُّ فيه، وعمرٍ قد بقى لا يُدرى ماذا فيه من الهلكات، وفضل قد أعطى لعله مكرٌ واستدراج وضلالة وقد زُيِّنت له فيراها هُدىً، ومن زيغ القلب ساعةً ساعةً أسرع من طرفة عين قد يُسلبُ دينه وهو لا يشعر».[٢]

(٢٢) وقال رحمه الله:

من أعظم المصائب للرجل أن يعلم من نفسه تقصيراً ثم لا يبالى ولا يحزن عليه.[٣]

(٢٣) قال مالك بن دينار:

لولا أن يقول الناس جُنَّ مالك للبستُ المسوح ووضعت الرّماد على رأسى أنادى فى الناس: من رآنى فلا يعص ربه.[٤]

---

(١) الشعب (٨٢٤).
(٢) الشعب (٨٣٥) والسير (٨/٤٠٦).
(٣) الشعب (٨٦٧).
(٤) الشعب (٨٩٧)، والزهد له (٥٣٠).

(٢٤) كان توبة بن الصمة محاسباً لنفسه، فحاسب نفسه يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هى أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلنا ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب؟

فكيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب!

ثم خرّ مغشياً عليه فإذا هو ميت.

فسمعوا قائلاً يقول: يالك ركضة فى الفردوس الأعلى.[١]

(٢٥) قال يوسف بن أسباط:

كان سفيان الثورى إذا أخذ ذكر الآخرة يبول الدم.

وقال سفيان: لقد خفتُ الله خوفاً وددتُ أنه خُفِّف عنّى.[٢]

(٢٦) وحُمل سفيان إلى طبيب ينظر فى علّته، فلما نظر قال: هذا ماء رجل قد أحرق الخوف جوفه.[٣]

---

(١) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٧٦)، والشعب (٩١٦).
(٢) أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٣)، والشعب (٩٢٢)، والسير (٧/ ٢٤٢).
(٣) أبو نعيم (٧/ ١٤)، والشعب (٩٢٥)، والسير (٧/ ٢٧٠).

(٨) من كان يبكى من النار والقبر

(١) قال الأوزاعى:

إذا ذكرت جهنم: فليبك من كان باكياً.[١]

(٢) قال رباح بن الجراح الموصلى:

كانت آمنة بنت المورع من الخائفين، وكانت إذا ذكرت النَّار قالت: أدخلوا النار وأكلوا من النار، وشربوا من النّار، وعاشوا فى النار ثم تبكى.

وكان بكاؤها أطول من ذلك.

قال: وكانت تبكى إذا ذكرت النار وأهل النار وأبكت وما رأيت أحداً أشد خوفاً منها ولا أكثر بكاء.[٢]

(٣) قال حفص بن عبد الرحمن:

أتيت مسعر بن كدام ليحدثنى فكأنه رجل أُقيم على شفير قبرٍ ليُدفع منه أو قال: على شفير جهنم ليُلقى فيها.

(٤) قال الجنيد بن محمد: سمعت السرىَّ يقول:

ما أحبُّ أن أموت حيث أعرف، فقيل له: ولم ذاك يا أبا الحسن؟

قال: أخاف أن لا يقبلنى قبرى فافتضح.

(٥) عن كعب قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ (هود: ٧٥).

قال: كان إذا ذكر النار قال: أوّه.

---

(١) الشعب (٩٣٠).

(٢) الشعب (٩٣١).

(٦) عن الحسن قال: قال غزوان الرَّقاشي: لله على أن لا يرانى ضاحكاً حتى أعلم أى الدارين دارى.

قال الحسن: فعزم، والله ما رُئى ضاحكاً حتى لحق بالله عز وجل.

(٧) عن غيلان قال: سمعت مَطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخير: لو أتانى آت من ربى فخيرنى بين أن يخبرنى أفى الجنة أنا أم فى النار، وبين أن أصير تراباً لاخترت أن أصير تراباً.

(٨) عن الحارث الغنوى قال:

آلى ربيع بن حراش أن لا يفتر عن أسنانه ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره؟

فما ضحك إلا بعد موته، وآلى أخوه ربيعى بعده ألا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أو فى النار قال الحارث الغنوي:

فلقد أخبرنى غاسله أنه لم يزل متبسماً على سريره وكنا نغسله حتى فرغنا منه.

(٩) عن حفص بن حميد قال:

رأيت سهل بن على فى المسجد يجول كأنه أبله من الخوف، وهو يقول: النار النار وتُرعدُ فرائصه حتى أخذنى البكاء.

(١٠) عن حوشب بن مسلم أنه قال:

كان الحسن يكره ذكر الموت عند الطعام.

(١١) عن إبراهيم التيمى قال:

ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ** ﴾ (فاطر: ٣٤) وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿ **إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ** ﴾.

(١٢) عن الصلت بن مسعود قال:

خـرج الحـسن بن صالـح يوماً من بـيتى فـنظر إلى جـراد يطير فـقـال: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (القمر: ٩)، ثم خرَّ مغشياً عليه.

(١٣) قال إسماعيل بن نصر العبدي: نادى منادٍ فى مجلس صالح المرّى:

ليقم البـاكون المشتـاقون إلى الجنة فقام أبو جـهث فقال: اقـرأ يا صالـح: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٣-٢٤).

فقام أبو جهث: أرْددها يا صالح، فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهث.

(١٤) عن غيـلان قال: قال مطرف: لقـد كاد خوفُ النّـار أن يحول بينى وبين أن اسأل ربى الجنة.

(١٥) عن بكر بن عبد الله المزنى:

أن أبا موسى الأشـعرى خطب الناس بالبـصرة، فـذكر فى خطبـته النار، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً.

(١٦) قال عبد الله بن عمرو:

لو أن رجلاً من أهـل النار أُخرج إلى الدنيـا، لمات أهل الدنيا من وحـشة منظره، ومن ريحه.

ثم بكى عبد الله بكاء شديداً.

(١٧) قال الثوري:

عمـرو بن قيس هو الذى أدبنى، علّـمنى قراءة القرآن، والفـرائض وكنت أطلبه فى سوقه، فإن لم أجده ففى بيته، إما يصلى أو يقرأ فى المصحف كأنه يُبادر أمراً يـفوته، فإن لم أجده وجدته فـى مسجد قاعـداً يبكي، وأجده فى المقبرة ينوح على نفسه.

ولما مات غلَق أهل الكوفة أبوابهم و خرجوا بجنازته، فلما أخرجوه إلى الجبال وبرزوا بسريره، وكان أوصى أن يصلى عليه أبو حيان التيمي، وسمعوا صائحاً يصيح: قد جاء المحسن، قد جاء المحسن، عمرو بن قيس، وإذا البرية مملوءة من طير أبيض لم يُر على خلقتها وحسنها، فعجب الناس.

فقال أبو حيان: من أى شيء تعجبون؟ هذه ملائكة جاءت فشهدت عمراً.[1]

(١٨) قال شعيب بن حرب قال عمر بن ذرّ:

يا أهل المعاصى لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسفه فإنه قال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف:٥٥)،[2] .

وكان يقول: كل حزن يبلى إلاّ حزن التائب عن ذنوبه.

(١٩) قال سعيد بن جبير: لو فارق ذكرُ الموت قلبي، لخشيت أن يفسدَ عليَّ قلبي.[3]

---

(١) رواه ابن الجوزي في «المعلق» وذكره في السير (٦/ ٢٥٠). وانظر الحلية (٥/١٠١).
(٢) السير (٥/٢٨٨).
(٣) الزهد لأحمد (٣٧١)، والحلية (٤/٢٧٩)، والسير (٤/٣٣٤).

(٩) البكاء في الصلاة

(١) سبق بكاء النبي ﷺ في الصلاة.

(٢) وسبق بكاء أبي بكر في الصلاة كما أخبرت عائشة .

(٣) عن عبد الله بن عمر قال: رأيت عمر بن الخطاب البكَّاء، وهو يصلي، حتى سمعت خنينه من وراء ثلاثة صفوف.(١)

(٤) عن علقمة بن وقاص قال: صليت خلف عمر بن الخطاب، فقرأ سورة يوسف، فكان إذا أتى على ذكر يوسف، سمعت نشيجه من وراء الصفوف.(٢)

(٥) وعن عبد الله بن عيسى قال: كان في وجه عمر رضوان الله عليه خطان أسودان من البكاء، وفي رواية: خطان مثل الشراك من البكاء.(٣)

(٦) وعن عبد الله بن شداد بن الهاء قال: سمعت عمر رضوان الله عليه يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف فسمعت نشيجه وإني لفي أخر الصفوف وهو يقرأ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف:٨٦).(٤)

(٧) عن مقاتل بن حيان قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤) فجعل يكررها، لا يستطيع أن يُجاوزها.(٥)

(٨) قال عتبة الخواص: كان محمد بن واسع يقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (الغاشية:١) وكان يجعلها ورداً يرددها ويبكي.(٦)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٢)، وابن أبي الدنيا في البكاء (٤١٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٢١)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٨)، والبيهقي شعب (١٨٩٦).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٥٠)، وأبو نعيم (١/ ٥١)، وابن أبي الدنيا (٢١١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢٧١٦)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٧)، وابن سعد (٦/ ١٢٦).

(٥) الرقة (٩٤-٤٢٦)، وسيرة عمر لابن الجوزي (ص ١٥٧).

(٦) الرقة (٤٢٨).

(٩) قال معتمر بن سليمان التيمي: صلى بنا أبي فقرأ سورة (ق) في صلاة الفجر، فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (ق:١٩) غلبته عبرته، فلم يستطع أن يجوز، فركع.[١]

(١٠) قال رجل من آل محمد بن سيرين: رأيت مسلم بن يسار رفع رأسه من السجود في المسجد الجامع، فنظرت إلى موضع سجوده كأنه قد صب فيه الماء من كثرة دموعه.[٢]

(١١) عن عمرو بن قيس قال: كان شقيق بن سلمة يدخل المسجد فيصلي، ثم ينشج كما تنشج المرأة.[٣]

(١٢) قال أبو زرعة: حدثني أبو النضر إسحاق بن إبراهيم قال: كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة.[٤]

(١٣) قال أبو عبد الرحمن الأسدي: قلت لسعيد بن عبد العزيز: ما هذا البكاء الذي يَعرضُ لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟

قلت: لعل الله أن ينفعني به، فقال: «ما قمت إلى الصلاة إلا مُثلت لي جهنم».[٥]

(١٤) قال حماد بن سلمة: قرأ ثابت البناني: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ (الكهف:٣٧)، وهو يصلي صلاة الليل ينتحب ويرددها.

(١٥) قال أبو سليمان الداراني: قام الحسن بن صالح بـ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ فغشي عليه فلم يختمها إلى الفجر.

(١٦) قال محمد بن ناجية: صليت خلف الفضيل بن عياض، فقرأ: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة:١) في الصبح، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠) غلبه البكاء فسقط ابنه علي مغشياً عليه.

وكان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ القارعة ولا تُقرأ عليه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الرقة (١٣٤).

(٣) الرقة (١٣٧)، وصفة الصفوة (٣/ ٢٩).

(٤-٥) السير للذهبي (٨/ ٣٤).

من أخبار البكائين

(١) عن ابن عباس قال:

أنه دخل على عمر بن الخطاب وبين يديه مال: فنشج حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وددت أنى أنجو منه كفافاً، لا لى ولا على.

(٢) وقال: طلبنى عمر، فأتيته، فإذا بين يديه نطعٌ عليه الذهب منقور، فقال: اذهب فاقسم هذا بين قومك، والله أعلم حين حَبَس هذا عن نبِّيه وعن أبى بكر، ألخير أعطانى أم لشرٍّ.

ثم سمعت البكاء، فإذا صوت عمر يبكي، ويقول فى بكائه: كلا والذى نفسى بيده ما حبس الله هذا عن نبِّيه وعن أبى بكر لشرٍّ لهما، وأعطاه عمر إرادة الخير به.

(٣) قال معاوية بن أبى سفيان لضرار الصدائى:

صف لى علياً.

فقال: اعفنى يا أمير المؤمنين.

قال: لتصفنه.

قال: أما إذ لابد من وصفه، كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس إلى الليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، ولا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه -وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه- قابضاً على لحيته

يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرى غيرى، إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوقت هيهات! هيهات! قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعمرك قصير، وخطرك قليل -آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق!

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا حسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها فى حجرها.[1]

(٤) عن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك قال: بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدرى هؤلاء، ما أبكى هؤلاء.

فلما تجلَّى عنهم العَبْر، قالت فاطمة: بأبى أنت يا أمير المؤمنين! ممّ بكيت؟

قال: ذكرت يا فاطمة مُنْصَرَف القوم من بين يدى الله: فريق فى الجنة، وفريق فى السعير، ثم صرخ وغُشى عليه.[2]

(٥) عن يعلى بن عطاء عن أمِّه، أنها كانت تصنعُ الكُحل لعبد الله بن عمرو، وكان يُكثرُ من البكاء يُغلقُ عليه بابه، ويبكى حتى رمصت عيناه.[3]

(٦) قال يوسف بن مَاهَك: رأيت ابن عمر عند عُبيد بن عُمير وعُبيدُ يقصُّ، فرأيت ابن عمر، ودموعه تُهراق.[4]

(٧) وروى عاصم بن محمد العمرى عن أبيه قال:

ما سمعت ابن عمر ذكر النبى ﷺ إلا بكى.[5]

(٨) قال المثنى بن سعيد سمعت أنس بن مالك يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى، ثم يبكى.[6]

---

(١) أخرجه الدولابي، وأبو عمر، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» والطبري في «مناقب العشرة» (٢/ ١٨٧).

(٢) أبو نعيم (٥/ ٢٦٩)، والبكاء (٥٥).

(٣) السير للذهبي (٣/ ٩٤).

(٤) أبو نعيم (١/ ٣١٣)، والسير (٣/ ٢١٤).

(٥) السير (٣/ ٢١٤).

(٦) رواه ابن سعد (٧/ ٢٠)، والسير (٣/ ٤٠٣).

(٩) كان العلاء بن زياد البصرى التابعى الكبير ربانياً قانتاً لله بكّاءً من خشية الله.

قال قتادة: كان العلاء بن زياد قد بكى حتى عمش بَصَرُهُ وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم، جهشهُ البكاء، وكان أبوه قد بكى حتى عمى.(١)

(١٠) عن هشام بن حسان قال: كان العلاء بن زياد يصومُ حتى يخضرّ، ويُصلى حتى يسقط، فدخل عليه أنس والحسن فقالا: إن الله لم يأمرك بهذا كُلّه.(٢)

(١١) عن حُميد بن هلال قال: دخلت مع الحسن على العلاء بن زياد وقد أسلّه الحزن، وكانت له أخت تندفُ عليه القطن غدوةً وعشيّةً، فقال: كيف أنت يا علاء؟ قال: واحزناه على الحزن.(٣)

(١٢) عن القاسم بن الأعرج قال: كان سعيد بن جبير يبكى بالليل حتى عمش.(٤)

(١٣) قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحُرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة تعلّقت بأستار الكعبة تدعو وتضرّعُ وتبكى حتى ماتت. قال الذهبى: إسنادها صحيح.(٥)

(١٤) قال حماد بن زيد: رأيت ثابت البنانى يبكى حتى تختلف أضلاعه.(٦)

(١٥) قال جعفر بن سليمان: بكى ثابت حتى كادت عينُه تذهب، فنهاه الكحال عن البكاء، فقال: فما خيرُهما إذا لم يبكيا وأبى أن تعالج.(٧)

(١٦) قال أبو حاتم البُستى: كان محمد بن المنكدر من سادات القراء، ولا

---

(١) السير (٤/ ٢٠٢).
(٢) الحلية (٢/ ٢٤٣)، والسير (٤/ ٢٠٤).
(٣) الحلية (٢/ ٢٤٢)، والسير (٤/ ٢٠٤).
(٤) زهد أحمد (٣٧٠)، والحلية (٤/ ٢٧٢)، والسير (٤/ ٣٣٣).
(٥) السير (٤/ ٣٣٤).
(٦، ٧) السير (٥/ ٢٢٤).

يتمالكُ البكاء إذا قـرأ حديث رسول الله ﷺ وقال مالك: كان مـحمد بن المنكدر لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي.[1]

وهو القائل: كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتى استقامت.

قال سفيان بن عيينة: كان ابن المنكدر يقول: كم من عين ساهرة في رزقي في ظلمات البر والبحر، وكان إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.[2]

(١٧) عن محمد بن صالح التمار قـال: كان صفوان بن سُليم يأتي البقيع في الأيام فيـمرُّ بي، فـاتبعتُـه ذات يوم وقلتُ: لأنظرن ما يصنع فـقنع رأسه وجلس إلى قبر منها، فلم يزل يبكي حتى رحمته وظننت أنه قبرُ بعض أهله، ومرّ بي مرة أخري، فاتبعته، فقعد إلى جنب قبر غيره، ففعل مثل ذلك.[3]

(١٨) قـال هُشيم: دخـلنا على سيّـار بن وردان -الإمـام الحـجة القـدوة الرَّباني- وهو يبكي، فقلنا: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكى العابدين قبلي.[4]

(١٩) قال خلف بن تمـيم: حدثنا زائدة، أن منصور بن المـعتمـر -الحافظ الثبت القدوة- صام أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي، فتقول له أمه:

يا بني: قتلت قتيلاً؟ فيـقول: أنا أعلم بما صنعتُ بنفسي، فإذا كان الصبح كحل عينيه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه وخرج إلى الناس.

وذكر سفيان بن عيينة أن منصور بن المعتمر قد كان عمِشَ من البكاء.[5]

(٢٠) قال مالك: كنا ندخل على أيُوب السَّختـياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه.[6]

---

(١) السير (٥/٣٥٥).
(٢، ٣، ٤) السير (٥/٣٥٨-٣٦٦-٣٩٢).
(٥) السيـر (٥/٤٠٦).
(٦) السير (٦/١٧).

(٢١) وبكى عطاء السَّليمـى حتى عمش، وربما غُشـي عليه عند الموعظة، وكان إذا بكى، بكى ثلاثة أيام بلياليها.

إلى حد أنهم كانوا يلتمسون له أحاديث الرخص ليخفف ما به.[١]

وشيَّع جنازةً، فغشى عليه أربع مرات.

(٢٢) عن أبى بكر بن عياش قال:

كنت إذا رأيت عطاء بن السائب، وضرار بن مُرَّة، رأيت أثر البكاء على خدودهما.

(٢٣) قال جـعفر بـن سليمان: كنتُ إذا وجـدتُ من قلبى قسـوةً غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع كان كأنه ثكلى.

وكان يقول: لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إلىَّ أحد.

وكان يقول عن الموت: يا إخوتاه، تدرون أين يُذهب بي؟ والله إلى النار، أو يعفو الله عنى.

وكان يقول: هل أبكاك قط سابق علم الله فيك؟

(٢٤) كان يزيد بن أبى سُميـه من العلماء الصادقين البكائين، وكان يصلى الليل كله ويبكى، وكان معه فى الدار يهودية فتبكى رحمة له.

فقال مرة فى دعائه: اللهم هذه يهودية بكت رحمة لي، ودينُها مخالف لدينى، فأنت أولى برحمتى.

(٢٥) قال قتادة: كان زياد بن مطر العدوى قد بكى حتى عمى.

وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عَشِي بصره.

قال: وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ، جهش بالبكاء.

(٢٦) عن عمر بن ذر قال: قلتُ لأسيد الضبيّ.

---

(١) السير (٦/ ٨٧).

قد أفسد البكاء عينيك.

قال: فَمَهْ.

قال: لو قصَّرتَ قليلاً.

قال: ولِمَ؟ أأتانى أمانٌ من الله من دخول النار؟

قال: ثم غشى عليه.

(٢٧) قال أبو نعيم:

كان العلاء بن عبد الكريم قد بكى حتى فسدت عينُه من كثرة ما يبكي.

(٢٨) قال قبيصة:

كانت عينا مالك بن مغول -وكان من سادة العلماء والعباد- رطبة جداً.

وكان يقال فى ذلك الزمان إنه طويل البكاء.

قال: وربما رأيته يُحدِّث والدموعُ على لحيته جارية!

(٢٩) قال شاذ بن فيّاض:

بكى هشام الدَّستوئى -أمير المؤمنين فى الحديث- حتى فسدت عينُه، فكانت مفتوحة، وهو لا يكاد يُبصر بها.

(٣٠) قال بشر بن منصور:

بكى بُديل العقيلى البصرى -تلميذ أنس بن مالك- حتى قَرِحت مآقيه، فكان يُعاتبُ فى ذلك، فيقول:

إنما أبكى خوفاً من طول العطش يوم القيامة.

(٣١) قال هشام بن حسان:

بكى يزيد الرَّقاشى أربعين عاماً حتى تساقطت أشفاره، وأظلمت عيناه، وتغيّرت مجارى دموعه.

(٣٢) قال عبد الرحمن بن مالك بن مغول:

بكى أسيد الضبيِّ حتى عمى. وكان إذا عوتب على البكاء، بكى وقال: الآن حين لا أهدأ؟

وكيف أهدأ وأنا أموت غداً؟

والله لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، فإن أدركتُ بالبكاء خيراً، فبمنٍّ الله عليَّ وفضله، وإن تكن الأخرى، فما بكائى فى جنب ما ألقى؟

(٣٣) قال أنس بن مالك رضي الله عنه لثابت البُناني: ما أشبه عينيك بعينى رسول الله ﷺ قال: فبكى حتى عَمش.

واشتكى ثابت عينه، فقال له الطبيب:

اضمن لى خصلةً تبرأ عينيك.

قال: وما هى؟

قال: لا تبك، قال: وما خيرٌ فى عين لا تبكي؟!

(٣٤) قال مالك بن دينار:

يا إخوتاه! والله لو ملكتُ البكاء لبكيتُ أيام الدنيا.

وكان مالك قد بكى حتى اسودَّ طريق الدموع فى خدِّه.

(٥٣) عن نسير بن ذعلوق قال:

كان الربيع بن خُثيم يبكى حتى تَبُلَّ لحيته من دموعه.

ثم يقول: أدركنا أقواماً كنا فى جنوبهم لصوصاً.

(٣٦) قال معاذ بن زياد:

كان يحيى بن مسلم البكَّاء قد اعتَّم بعمامة وأدارها على حلقه، وجعل لها طرفين، فكان يبكى وينتحب حتى يَبُلَّ هذا الطرف، ثم يبكى وينتحب حتى

يَبُلَّ هذا الطرف الآخر. ثم يحلُّها من رأسه، ويبكى وينتحب حتى يَبُلَّ العمامة بأسرها، ثم يبكى وينتحب حتى يبُلَّ أردائه!

(٣٧) قال محمد بن عمرو الأنصارى:

كنا مع محمد بن واسع فى جنازة، فجعلتُ أنظر إلى دموعه على لحيته، وهو جالس لا يتكلم بشىء.

فذكرتُ ذلك ليحيى بن مسلم البكاء، فبكى وقال: إن فى دون ما كنتم فيه لما يُبكي: القبور.

(٣٨) قال على بن الفضيل بن عياض:

كان الفُضيل قد أَلِفَ البكاء، حتى ربما بكى فى نومه! حتى يسمعه أهل الدار.

(٣٩) قال الربيع بن صبيح:

ما دخلت على الحسن إلا أصبته مستلقياً يبكي.

وقال يونس بن عبيد:

كنا ندخل على الحسن، فيبكى حتى نرحمه.

وقال منصور: كان الحسن ربما بكى حتى نَرِقَّ له.

وقال عبيد الله بن العيزار:

ما رأيت الحسن إلا صاراً بين عينيه، عليه كآبة، كأنه رجلٌ أصيب بمصيبة، فإن ذكر الآخرة، أو ذُكرت بين يديه، جاءت عيناه بأربع.

(٤٠) وكان يزيد الرقاشى يبكى حتى يسقط، ثم يُفيق، فيبكى حتى يسقط، ثم يفيق، فيبكى حتى يسقط، فيُحمل مغشياً عليه إلى أهله.

وكان يقول فى كلامه:

إخوتاه!

أبكوا قبل يوم البكاء، ونوحوا قبل يوم النياحة، وتوبوا قبل انقطاع التوبة، إنما سُمى نوحاً صلى الله عليه وسلم لأنه كان نوّاحاً، فنوحوا معشرَ الكهول والشباب على أنفسكم.

(٤١) وقال سلمة بن سعيد:

قالوا ليزيد الرّقاشى: ما تسأم من كثرة البكاء؟

فبكى ثم قال:

وهل يَشْبَعُ المُرضَعُ من الغذاء؟

والله لوددتُ أنى أبكى بعد الدموع الدماء، وبعد الدماء الصديد أيام الدنيا، فإنه بلغنا أن أهل النار يبكون الدماء إذا نفدت الدموع، حتى لو أرسلت فيها السُّفُن لجرت!

فما حقُّ امرىءٍ لا يبكى على نفسه فى الدنيا وينوح عليها.

وكان يقول:

يا يزيد من يصلى لك بعدك؟

ومن يصوم يا يزيد؟

ومن يضرع لك إلى ربك بعد؟ ومن يدعو؟

فكان يعدِّدُ على هذا ونحوه، ويبكى ويقول: يا إخوتاه!

ابكوا أو بكُّوا أنفسكم، فإن لم تجدوا بكاءً فارحموا كلَّ بكَّاء.

(٤٢) كان مسعر بن كدام -قال الثورى: لم يكن فى زماننا مثله -يبكى وتبكى أمه، فقال لها مسعر:

ما أبكاك يا أمّهُ؟

قالت: يا بنى رأيتك تبكى فبكيت.

قال: يا أمَّه لمثل ما نهجُم عليه غداً فيظلَّ البكاء.

قالت: وما ذاك يا بُني؟ قال: القيامة وما فيها! قال: ثم غلبه البكاء فقام.

وكان مسعر يقول: لولا أمي ما فارقت المسجد إلا لما لابد منه.

وكان إذا دخل بكى، وإذا خرج بكى، وإذا صلى بكى، وإذا جلس بكى.

(٤٣) قال الفضل بن دُكين: كان الحسن بن صالح إذا نظر إلى جنازة أرسل عينيه بأربع! وقال: ودخلنا معه مَرّةً نعوده مريضاً، فنظرتُ إليه يبكي حتى جرت دموعه على لحيته.

(٤٤) قال مطر الوراق:

بات هَرِمُ بن حيان[١] عند حممة[٢]، فبات حممة باكياً حتى أصبح!

فلما أصبح قال له هرم: يا أخي! ما أبكاك الليلة؟

قال: ذكرتُ ليلة صبيحتها تناثرُ الكواكبُ.

قال: وبات حممة عند هرم ليلة أخرى، فبات هرم بن حيان باكياً حتى أصبح!

فلما أصبح قال له حممة: يا أخي! ما أبكاك الليلة؟

قال: يا أخي ذكرتُ ليلةً صبيحتها تبعثَرُ القبورُ للمحشر إلى الله.

وكانا إذا أصبحا غَدَوَا فمرَّا بأكورة[٣] الحدَّادين كيف يُنفخ عليها، فيقعدان، ويبكيان، ويستجيران الله من النار.

ثم يأتيان أصحاب الرياحين، فيقفان، فيسألان الله الجنة، ثم يدعوان بدعوات، ويفترقان.[٤]

---

(١) هرم بن حيان العبدي أحد العابدين، حدث عن عمر بن الخطاب، وكان ثقة عالماً عابداً فاضلاً، روي عنه الحسن البصري.

(٢) حممة بن أبي حممة الدوسي الصحابي، غزا أصبهان في زمن عمر بن الخطاب، مات شهيداً.

(٣) الكور: مجمرة الحدَّاد من الطين.

(٤) انظر الزهد لأحمد (٢/١٨٣)، والحلية (٢/١١٩)، والبكاء (٢٩٨).

(٤٥) قال بقية:

كان ابن أبى مريم فى خدّيه أثرٌ من الدُّموع، رحمة الله عليه.

(٤٦) قال أبو مسهر:

ما رُئى الأوزاعىُّ باكياً قطُّ، ولا ضاحكاً حتى تبدو نواجذه، وإنما كان يتبسم أحياناً، وكان يُحيى الليل صلاة وقرآناً وبكاءً،وكان هناك من يتفقد موضع صلاته فيجده رطباً من دموعه فى الليل.

(٤٧) التقى سُفيان والفضيل، فتذاكرا، فبكيا، فقال سفيان: إنى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة.

فقال له فضيل: لكنى أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه شؤماً، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك، فتزينت به لي، وتزينت لك، فعبدتنى وعبدتك؟

فبكى سفيان حتى علا نحيبهُ، ثم قال:

أحييتنى أحياك الله.

وكان سفيان الثوري: يبول الدم من طول حُزنه وفكرته.

وقال ابن مهدي: كنت لا استطيع سماع قراءة سفيان من كثرة بكاءه.

(٤٨) قال ابن المبارك: إذا نظرتُ إلى الفضيل جدَّد لى الحزنَ، ومَقَّتُّ نفسي، ثم بكى.

(٤٩) قال يحيى بن أيوب: دخلتُ مع زافر بن سليمان على الفضيل بن عياض، فإذا معه شيخُ، فدخل زافر، وأقعدنى على الباب.

قال زافر: فجعل الفضيلُ ينظر إليَّ ثم قال:

هؤلاء المحدِّثون يعجبهم قُربُ الإسناد، ألا أُخبركم بإسناد لا شك فيه، رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله ﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ

غلاظٌ شدادٌ﴾ (التحريم:٦) فأنا وأنت يا أبا سليمان من الناس، ثم غشى عليه، وعلى الشيخ، وجعل زافر ينظر إليهما، ثم خرج الفضيل، وقُمنا والشيخ مغشيٌّ عليه.

(٥٠) قال محمد بن أبى عثمان:

كان عليُّ بن الفضيل عند سفيان بن عيينة، فحدَّث بحديث فيه ذكر النار، فشهق عليُّ شهقةً ووقع، فالتفت سفيان فقال: لو علمتُ أنك هاهنا ما حدثتُ به، فما أفاق إلا بعدَ ما شاء الله.

(٥١) قال منصور بن عمار:

حججتُ، فبتُّ بالكوفة، فخرجت فى الظَّلماء، فإذا بصارخ يقول: إلهى وعزَّتك ما أردتُ بمعصيتى مخالفَتَك، وعصيتُ وما أنا بنكالكَ جاهلٌ، ولكن خطيئة أعاننى عليها شقائى، وغَرَّنى ستُرك، فالآن من يُنقذُني؟

فتلوتُ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم:٦) قال: فسمعت دكدكة، فلما كان من الغد، مررتُ هناك، فإذا بجنازة، وعجوزٌ تقول: مَرَّ البارحةَ رجلٌ تلا آيةً فتفطرت مرارتُه، فوقع ميتاً.

(٥٢) قال عليُّ بن المدينى: كنا عند يحيى بن سعيد القطان، فقرأ رجلُ سورة الدخان، فصعقَ يحيى، وغُشى عليه.

قال محمد بن سعيد الترمذى:

قدمتُ البصرةَ أكتبُ الحديث، وكان يحيى بن سعيد القطَّان يجلسُ على موضع مُرتفع، ويمرُّ به أصحابُ الحديث واحداً واحداً، يُحدِّثُ كُلَّ إنسانٍ بحديث، فمررتُ به لأسأله، فقال لي: اصْعَدْ، واقرأ صَدْراً، واقرأ من سورةٍ واحدة، فقرأتُ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ فسقط مغشياً عليه، فأصابهُ خشبةُ جَزَّارٍ.

(٥٣) قال أحمد بن سعيد الهمذاني:

دخل عبد الله بن وهب -شيخ الإسلام- الحمام، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ (غافر:٤٧) فغشي عليه.

(٥٤) قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر:

قلت ليزيد بن مرثد: ما لى أرى عينك لا تجفّ؟

قال: وما مسألتك؟

قلت: لعل الله تعالى ينفع به.

قال: إن الله عز وجل توعدنى إن أنا عصيتُه أن يسجُننى فى النار، والله لو توعدنى أن يسجننى فى الحمام كنتُ حرياً أن لا يجفّ لى دمع.

فقلت: هكذا فى خلوتك؟

قال: والله إنه لتوضع القصعة بين أيدينا فيعرض لى فأبكى ويبكى أهلى ويبكى صبياننا لا يدرون ما أبكانا، والله إنى لأسكن إلى أهلى فيعرض لى فيحول بينى وبين ما أريد. فيقول أهلى يا ويحها ما خُصت به معك من طول الحزن، ما تقرُّ لى معك عين.

(٥٥) قال عتبة الخواص:

كان عتبة الغلام يزورنى فربما بات عندي، قال: فبات عندى ذات ليلةٍ فبكى فى السحر بكاءاً شديداً، فلما أصبح، قلت:

لقد فزعت قلبى منذُ الليلة ببكائك، فبم ذاك يا أخي؟

فقال: يا عتبة! والله إنى إذا تذكرت يوم العرض على الله، ثم مال ليسقط فاحتضنته فجعلت انظر إلى عينيه يتقلّبان قد اشتدت حمرتهما، ثم أزبد وجعل يخور فناديته: عتبة! عتبة! حبيبى!

قال: فمكث ثلاثاً لا يجيبنى ثم هدأ، فناديته: عتبة! عتبة!

فأجابنى بصوت خفىّ:

قطع ذكرُ العرض على الله أوصال المحبين.

قال:

ثم جعل يُحشرج حشرجة الموت، ويقول: أتراك تعذب محبيك وأنت الحى الكريم!

قال: فلم يزل يردّدها حتى والله أبكانى.

شعر فى الزهد

❁ **أبيات أرسلها ابن المبارك لفضيل بن عياض:**

يَا عَابِدَ الحَرمينِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا ∴ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ في العِبَادَةِ تَلْعبُ
مَن كَانَ يَخْضِبُ جِيدَه بِدُمُوعِه ∴ فَنُحورُنا بدمائنا تَتَخضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتعِبُ خَيْلَه فِي بَاطِلٍ ∴ فَخُيولُنا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتعَبُ
رِيحُ العَبِير لَكُمْ وَنَحْنُ عَبيرُنا ∴ رَهَجُ السَّنابِك والغُبَارُ الأطْيَبُ[1]
ولَقَد أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبيِّنا ∴ قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لا يُكْذَبُ
لا يَسْتوِي وغُبَارُ خيل اللَّه في ∴ أنْفِ امْرِىء ودُخَانُ نَار تَلهبُ[2]
هذا كِتَابُ اللَّهِ يَنطِقُ بيننا ∴ لَيْس الشهيدُ بميتٍ لا يُكْذَبُ

❁ **وقال ابن المبارك رحمه الله:**

فَكَيْفَ قَرَّتْ لأهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُم ∴ أو اسْتَلذُّوا لَذِيذَ النَّومِ أو هَجَعُوا
والنَّارُ ضَاحِيَةٌ لا بُدَّ مَوْرِدُها ∴ ولَيْسَ يَدْرُونَ مَن يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
وَطَارَت الصُّحُفُ في الأيْدى مُنَشَّرَةً ∴ فيها السَّرائرُ والجبَّارُ مُطَّلِعُ
إمَّا نَعيمٌ وعَيْشٌ لا انقِضَاءَ لَهُ ∴ أو الجَحِيمُ فَلاَ تُبْقى ولا تَدَعُ
تَهْوي بِسَاكِنها طَوْراً وتَرْفَعه ∴ إذَا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غمِّها قُمعُوا
لِينْفعِ العِلْمُ قَبْلَ المَوْتِ عَالِمُهُ ∴ قَد سَالَ قَوْمٌ بها الرُّجْعى فَمَا رَجَعُوا

---

(١) الدُّهْج والدَّهَج: الغبار، والسنابك جمع سنبك طرق حافر الخيل وجانبا من قدَّام.

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد (/ ٢٥٦، ٣٤٢، ٤٤١)، والنسائي (٦/ ١٢، ١٣، ١٤)، والحاكم (٢/ ٧٢)، والبيهقي (٩/ ١٦١)، من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»** وفي سنده ابن اللجلاج لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وله طريق آخر عند أحمد (٢/ ٣٤٠)، والنسائي (٦/ ١٢، ١٣)، والحاكم (٢/ ٧٢)، من حديث الليث، عن محمد ابن عجلان، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة، وهذا سند حسن، وصححه ابن حبان (١٥٩٧)، (١٥٩٦).

ولابن المبارك أيضاً:

خُذْ من الجَاروُشِ والأرزِّ والخُبْزِ الشَّعير
واجْعَلنْ ذَاكَ حَلالاً تنجُ من حَرِّ السَّعِير
وانأَ مَا اسْطَعْتَ هَدَاكَ اللَّهُ عَنْ دَارِ الأمِير
لا تَزُرْهَا واجْتَنِبْهَا إنَّهَا شَرُّ مَزُور
تُوهِنُ الدِّينَ وتُدْنِيكَ مِنَ الحُوبِ الكَبِير
قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ يَا مَغْرُورُ في حُفْرَةِ بِير
وَارْضَ يَا وَيْحَكَ مِنْ دُنيَاكَ بالقُوتِ اليَسِير
إنَّهَا دَارُ بَلاءٍ وزَوَالٍ وغُرُور
مَا تَرى قَدْ صَرَعَتْ قَبْلَكَ أصحابَ القُصُور
كَمْ بِبَطْنِ الأرْضِ مِنْ ثَاوٍ شَرِيفٍ ووزِير
وَصَغِيرِ الشأنِ عَبْدٍ خَامِلِ الذِّكْرِ حَقِير
لَو تَصَفَّحت وُجُوه القَوْمِ فى يَوْمِ نَضِير
لَمْ تميِّزهُمْ ولَم تَعْرِفْ غَنِياً مِنْ فَقِير
خمدُوا فَالقَوْمُ صَرْعَى تَحْتَ أشقاقِ الصُّخُور
واسْتَوَوْا عِنْدَ مَلِيكٍ بِمَسَاوِيهِم خَبِير
احْذَرِ الصَّرْعَةَ يَا مِسْكِينُ مِنْ دَهْرٍ عَثُور
أَينَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ ونُمْرُودُ النسُور
أوَ مَا تَخْشَاهُ أنْ يرمِيكَ بالمَوْتِ المُبِير
أوَ مَا تَحْذَرُ مِنْ يَوْمٍ عَبُوسٍ قَمْطَرِير
اقْمَطرَّ الشَّرُّ فِيهِ بِعَذابِ الزَّمْهَرِير

❁ قال قتادة لقينى عمران بن حطان فقال: يا أعمى احفظ عنى هذه الأبيات:

حتَّى مَتَى تُسْقَى النُّفُوسُ بكأسِها ∴ ريْبَ المَنونِ وأنْتَ لاهٍ ترتَعُ
أفقد رضيتَ بأنْ تُعلَّل بالمُنى ∴ وإلى المنَّيةِ كلَّ يوم تُدْفَعُ
أحْلامُ نَومٍ أوْ كَظِلٍ زائلٍ ∴ إنَّ اللَّبيبَ بمثلها لا يُخْدَعُ
فتزَوَّدنَّ ليومِ فقرِكَ دائباً ∴ واجْمَعْ لِنَفْسِكَ لا لغيرك تَجْمَعُ

❁ قال سابق البربرى عند عمر بن عبد العزيز هذه الأبيات:

فَكمْ مِنْ صَحيحٍ بَاتَ للموتِ آمناً ∴ أتتهُ المَنَايَا بَغتةً بَعْدَمَا هَجَعْ
فلم يَستطع إذْ جَاءهُ الموتُ بغتةً ∴ فَراراً ولا منهُ بقوته امْتَنَعْ
فأصبحَ تَبكيه النِّساءُ مُقنعاً ∴ ولا يَسمع الدَّاعى وإن صَوْتَهُ رَفَعْ
وقُرِّب من لحد فكان مقيله ∴ وفَارَقَ مَا قَدْ كَانَ بالأمسِ قَدْ جَمَعْ
ولا يترك الموت الغَنيّ لماله ∴ ولا مُعدماً في الحالِ ذَا حاجة يَدَعْ

❁ قال محمد المستملى: قرأت على قبـر:

مَا حَالُ مَنْ سكنَ الثَّرى مَا حَالهُ ∴ أمْسى وقد صَرِمَت هُنَاك حِبالُه
أمسى ولا رُوحُ الحَيَاة تُصيبهُ ∴ يوماً ولا لُطفُ الحبيب يَنالهُ
أمسى وحيداً مُوحِشاً مُتفَرِّداً ∴ مُتَشتِّتاً بعد الجَميعِ عِيَالهُ
أمسى وقد دَرَستْ محاسنُ وجهه ∴ وتَفَرَّقتْ فى قَبره أوْصَالُه
واستبدلَتْ منه المجالسُ غَيره ∴ وتُقُسِّمَتْ من بعده أموالُه
هل مِنْ قَبيلٍ تعلمون مَكَانَه ∴ سَلِمَتْ على حَدَث الزَّمَانِ رجَالُه

وقال أيضاً:

يـا بَاكِـيَ المَيتِ عـلي قَــــبْـــره ∴ امضِ ودَعْـــه فَـــسَــــتَنسَــــاهُ
مَـنْ عَــــاينَ المـوتَ فَــــذَاك الـذَّى ∴ لَـمْ تَرَ مـــــثلَ المـوت عَــــيْنَاهُ
كَـمْ مِنْ شَـــــقــــيقٍ لم تجـــــد ∴ غـيـر أنْ غـمَّض مـن يهـوى وسَّجاهُ
وكَـمْ مُـــحبٌّ لحـــبــــيبٍ إذا ∴ ســـوَّى عليـــه اللحــد خَــلاَّهُ

وقال ابن السماك:

«إنما الدنيـا أولَّها إلى آخـرها قليل، إن الذى يبـقى منهـا فى جنب الذى مضى قليل، وإنما لك منها قليل، ومـا بقى إلا قليل من قليل، وقد أصبحت يا ابن آدم في دار الشرَّاء ودار الفداء، وغداً تصير إلى دار الجزاء ودار البقاء، فاتق الله يا ابن آدم فـي نفسك، فاشـتر اليوم نفـسك وفاد بها بكل جـهدك لعلَّك أن تتخلص من عذاب ربِّك عزَّ وجلَّ».

«كم رأينا من قرون قد مضوا بعد قرون ∴ أثَّروا فى الأرض قد أفناهم ريبُ المنونِ
سائل الأيام تُخـبر أين أرباب الحـصون ∴ أين أصحاب المساعى فى سهول وَحُزُونِ
أنت تلهـو والمنايا لم تزل نصب العـيون ∴ عجباً لو صحَّ عقلى لى لما جفَّت جفونى
يا أخلائى تعـالوا فاسـعدونى واندبونى ∴ عيـنٌ بكينى بدمعٍ فكأنْ قد حيل دونى
ساعـةٌ كانت لوقت حين قـال الله كونى ∴ آيس الأصحاب منى عندها إذْ حَرَّفونى
حرَّفـونى وجَّهونى غـمَّضـونى مدَّدونى ∴ ثم قاموا فى جهازى عـجَّلوا إذ غيَّبونى
رفَـعـونى حـرَّفـونى غـسَّلونى قلبـونى ∴ وضَـعُونى نشَّفونى خَيطونى كـفَّنونى
لفـقونى أدرجـونى ثم قـاموا حـملونى ∴ عـجّلوا بى شـيَّعـونى بلَّغـونى أنزلونى
أنزلونى تحت صخر علقت فـيها رهونى ∴ أدخلونى أسـندونى أوقـرونى أثـقلونى
ودَّعونى أسـلمونى أوجدونـى أفردونى ∴ وكـأنَّ القـوم لمَّا رجـعـوا لم يعـرفـونى

❁ أنشد عليُ بن عمرو العجمي الزاهد يرثي ابنه أحمد:

«يا غائباً لا يؤوبُ من سَفَره ∴ عاجَلهُ مَوتُه على صِغَرِهْ
ما تقعُ العين كلما نظرتْ ∴ في الدار شيئاً إلا على أثرِهْ
فالحمدُ لله لا شريك له في علمه ∴ كان ذا وَفي قَدَرِهْ
قد قدَّر العُمْرَ ذو الجلال ∴ فما يقدر خلقٌ يزيدُ في عُمُرِهْ
إذا أتى يومُهُ المعدُّ له ∴ صار إليه اليقين من خَبَرِهْ
وكلُّ ذي غيبة يؤوبُ ∴ ولا يَرجعُ من مات من ثرَى حُفَرِهْ
يا أحمدَ الخير كنتَ لي أنساً ∴ في طول ليلي نَعمْ وفي قِصَرِهْ
شَربْتَ كأساً أبوك شاربُها ∴ لا بُدَّ منها له على كِبَرِهْ
يَشْربُها والأنامُ كلُّهُمْ ∴ مَنْ كان في بَدْوِه وفي حَضَرِهْ
وليس يبقى سوى الإلهُ ∴ وما قَدَّمَ من صالحٍ لمدَّخَرِهْ
فاعمل وقدِّم فكلُّ ذي عملٍ ∴ لجنَّة الخُلْد أو إلى سَقَرِهْ
والموت جَزَّارُ كلِّ ذي نفسٍ ∴ فكيف نبقى ونحن من جُزُرِهْ
فطُوبى لمن كان مسلماً ∴ وَرِعاً يُحمَدُ في وِرْدِه وفي صَدْرِهْ
قد جَعَلَ الموتَ نُصبَ مقلته ∴ صَيَّرهُ في الحديث من سَمَرِهْ
وقد أرانا الزمانُ من عِبرٍ ∴ لو انتفعنا بذاك من عِبَرِهْ
وقد حلَبْتُ الزمانَ أشطُرَهُ ∴ آخُذُ من صَفْوِهِ ومن كَدَرِهْ

❁ قال ابن أبي الدنيا أنشدنا محمد بن الحسين:

«أين من كان قبلنا أين أينا ∴ من أناسٍ كانوا جمالاً وزيْنا
إنَّ دهراً أتى عليهم فأفنى ∴ عدداً منهم وسيأتي علينا
خدعتنا الآمالُ حتى جمعنا ∴ وطلبنا لغيرنا وسَعَيْنَا
وابتنينا وما نُفَكِّر في الدهر ∴ وفي صَرْفِه غداةَ بَنَيْنا
وابتغينا من المعاشِ فُضولاً ∴ لو قنعنا بدونه لاكتفينا
ولعمري لَنَمْضِيَنَّ ولا نمـ ∴ ـضي بشيء منها إذا ما مضَيْنا
اختلفنا في المقدَّرات وسوّى اللـ ∴ ـه بالموت بيننا فاستوينا
كم رأينا من ميتٍ كان حيّاً ∴ ووشيكاً يُرى بنا ما رأينا
ما لنا نأمنُ المنايا كأنّا ∴ لا نَراهُنَّ يهتدِيْنَ إلينا
عجباً لامرءٍ تيقَّن أن الـ ∴ ـموت جاءٍ وقرَّ بالعيش عيناً».

هذا وفي القدر كفاية
والحمد لله رب العالمين
أبو أنس المصري
حلمي بن محمد بن إسماعيل
غفر الله له ولوالديه

فهرس الموضوعات

الموضـوع	الصفحة
المقدمـة	3
(١) جامع أحاديث البكاء	11
(٢) أقوال السلف عن البكاء	15
(٣) استدعاء البكاء	20
(٤) من أسباب البكاء	22
(٥) البكاء عند قراءة القرآن	24
(٦) من كان يبكى عند الوضوء	31
(٧) من كان يبكى من ذنوبه	32
(٨) من كان يبكى من النار والقبر	38
(٩) البكاء فى الصلاة	42
من أخبار البكائين	44
شعـر فى الزهـد	58
الفهـرس	64